السياق اللغوي وأثره في توجيه المعنى في آيات الجهاد و العقيدة في الكشاف للزمخشري

The linguistic context and its impact on directing meaning in the verses of jihad and creed in Al-Kashshaf by Al-Zamakhshari

جامعة قم/ كلية الالهيات والمعارف الإسلامية قسم علوم القرأن والحديث

اعداد الطالب: محسن مظلوم عاصي

Mhosn Mazloom Aasy

إشراف: الدكتور محمد علي تجري

الأستاذ المساعد الدكتور مولاى نيا

Molaei Niya

١٤٤٦هـ ٢٠٢٥م

الملخص

دلالات السياق مهمة في فهم نصوص الجهاد أو العقيدة داخل آيات القرآن الكريم، بعدِّها من أهم الدلالات في تفسير القرآن بالقرآن، وعلى هذا الأساس نلحظ أَنَّ الزمخشري قد اعتنى على وفق ذلك في كتابة الكشاف عناية بألفة، حيث كان ذلك سببا في تقدير محذوف، أو تأييد قول أو دحضه، وفي ذلك قد أثبت الكثير من الأحكام، من دون الخروج عما يؤيد القول أو الحكم في الوصول إلى النتائج بحكم سياق الآيات الخاصة بدراسة الجهاد أو العقيدة ووفقاً لمنهجية خاصة مشبعة توضح أهمية السياق في تأويل النص وإظهار حقيقته بما يتفق أو ينسجم من ظاهرة التفسير القرآني للنصوص.

الكلمات المفتاحية: دلالات السياق، تفسير القرآن بالقرآن, الجهاد والعقيدة

Abstract

Contextual connotations are important in understanding the texts of jihad or belief within the verses of the Holy Qur'an, as they are among the most important connotations in interpreting the Qur'an by the Qur'an. On this basis, we note that Al-Zamakhshari has accordingly enriched his attention to familiarity in writing Al-Kashshaf, as this was a reason for an omitted assessment, or support. Saying or refuting it, we have through it proven many rulings, Without deviating from what supports the statement or ruling in arriving at the results by virtue of the context of the verses related to the study of jihad or belief, and according to a special and comprehensive methodology that clarifies the importance of the context in interpreting the text and revealing its truth in a way that is consistent with the phenomenon of the Qur'anic interpretation of the texts.

Keywords: Contextual connotations, interpreting the Qur'an by the Qur'an, special and Comprehensive.

المقدمة

فقد حظي القرآن الكريم بالكثير من الدراسات التي درست نصوصه، وألفاظه، كما تعاقب على مر العصور من الباحثين الذين وجدوا في كتاب الله مادة لغوية جيدة للدراسة، ولما كان القرآن الكريم معجزة سيدنا محمد (صلى الله وعليه وعلى آله وسلم) الخالدة بألفاظه ومعانيه وبلاغة عباراته وسحر بيانه، ولحبنا لهذا الكتاب الكريم فقد رأيت فيه مادة بحثنا ودراستنا لأطروحة الدكتوراه، لذا اقترحت عنواني في آياته الكريمة الذي درسها بالبحث والتأويل عالم من علماء المعتزلة، والذي حظي باهتمام كثير من الباحثين لآرائه غير المتحيزة في كتاب الله العظيم، فقد كان عنوان أطروحتي (السياق وأثره في توجيه المعنى في آيات الجهاد أو العقيدة في كتاب الكشاف للزمخشري أنموذجا) فقد كنت شديدة الفرح على الرغم مما واجهني من صعوبات في استقصاء مادة السياق وأثرها في توجيه المعنى في كتاب الكشاف إلا أن قدسية كتاب الله العظيم جعلني اتحمل تلك الصعاب في مرحلة جمع مادة البحث واستقصائها مع خوض غمار ذلك على درجة كبيرة من الحذر والتأني. ولقد كان البحث مكونا من ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول في السياق الصوتي, أما المبحث الثاني فقد كان في السياق الصرفي، والمبحث الأخير السياق التركيبي .

المبحث الأول

١- السياق الصوتي:-

تكمن أهمية السياق الصوتي بالنسبة للتأويل القرآني، في ما اتخذه الزمخشري في بيان أهمية الأحداث في النفوس، إذ إنَّه في كشافه استثمر هذه الغاية في تبيان نظم القرآن وإعجازه في وضع محددات لا يمكن لأيّ ما محاباة قوله سبحانه وتعالى، فالسياق الصوتي المشتمل بالمراحل الثلاث: الحرف، والكلمة، والجملة، موسيقية ذلك، تبين إعجاز النظم القرآن الصوتي داخل النسق، فاتخذوهم ضمن بنية نصية قاصدة في فهم الأهداف المرجوة من وراء ذلك، على اعتبار أَنَّ مهمة الصوت، غايتها الحرف والحركات والمقاطع، وفضلا عن الإيقاع، فكل ذلك سرٌ له دلائله داخل الآيات العظيمة صوتياً:

سنتناول السياق الصوتي عن طريق أدواته داخل السياق بشكل تراتبي، منها:
الحروف، كي في قوله تعالى: (وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ، وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ)[١]، فمن هذه الآية الخاصة بالجهاد أو العقيدة، يتبين لنا من سياقها الصوتي أهمية حرف اللام الواقع في جواب القسم الذي سدَّ جواب الشرط في بيان أهمية القتال، وما ينتجه من مخلفات تؤدي إلى نزول الحق، كونه به تتحقق العدالة لإلهية، كما ليس فيه تعتبر للذات، بل نزول المغفرة بالدلالة التأكيدية لحرف اللام في لقطة (مغفرة)، التي هي جواب لفعل الشرط (قتل) الواقعة بعد أداة الشرط (إن) والمتصلة بالأم الموطئة للقسم، وهو تأكيد الحكم إلهي بما وعد به عباده المخلصين، والذي اشترى الله أنفسهم في احقاق الحق، وبذلك فقد كذب الله "الكافرين أوّلاً في زعمهم أنَّ من سافر من إخوانهم أو غزى لو كان بالمدينة لما مات، ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعس عن الجهاد: ثم

(١) سورة ال عمران، الآية رقم : ١٥٧، ١٥٨

قال لهم: ولَئن ثُمَّ عليكم ما تخفونه من الهلاك بالموت والقتل في سبيل الله فإنَّ ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدينا ومنافعها لو لم تموتوا"[١]، فاللام الموطئة للقسم المدغمة في حرف الشرط (إن) كانا تأكيداً لذلك، فالزمخشري يتحس الحروف، لما لهما من دور كبير في المراد من قوله سبحانه.

فالدلالة الصوتية نغمية تؤكد الترابط والتناسق الجمالي داخل النص، فهي لا تنفك عن تمثيلها داخل النسق، كونها تمتلك أبعادا نسقية، لتجعل منها مشتقة بشكل تراتبي، في محاولة للإفصاح عما يريده سبحانه، عما (لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ)[٢]، نلاحظ أنّ (اللام) في حرف الجر (إلى) الواقع جواباً للشرط مع اسمها، للتأكيد أنَّ الأحكام لا تكون به، ولا تناط إلا "لإلى الرحيم الواسع، المثيب العظيم الثواب تحشرون، ولوقوع اسم الله تعالى هذا الموقع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأنّ ليس بالخفي، وقرئ: مُتُّم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات ويمات. ما مزيدة للتوكيد، والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله"[٣] .

أما من حيث الحركات، فهو لا يقتصر أهمية بالنسبة إلى ما تقدمنا به، فقد بين الزمخشري أهمية ذلك عن طريق أدواته التأويلية للنصوص القرآنية الكريمة، كما في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا، وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ، فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ، قالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا، وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ، لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا"[٤]، فالمعنى أَنَّ الله سبحانه وتعالى يحذر المؤمنين، مع تبيان الحالة المتخذة في الحذر من اعدائهم، لذا فإنَّ

(١)الكشاف :٣٧١/١

(٢) سورة آل عمران : الآية رقم :١٥٨

(٣) الكشاف: ٣٧٩/٢

(٤) سورة النساء، الآية :٧١، ٧٢، ٧٣

الله قريب من المؤمنين، فإما أن ينفروا ثبات أو جميعاً، إذ إنَّ حركتين (ثبات، وجميعاً) الفتحة والكسرة، وموقعها حالاً، تبياناً للحال الذي نفروا عليه المؤمنين، فهو إمَّا جماعات متفرقة أو مجتمعون في كوكبة واحدة، فإن أصابتهم مصيبة من قتل أو هزيمة فضل من الله من فتح أو غنيمة، ولهذا أعطى الكثير من المفسرين أهمية كبير للحركات داخل سياق النص، حتى أنهم ادخلوا القراءات في تفسيرهم للنصوص، وهذا ما نجده عند الزمخشري في تأويله لسياق الآية، فقد ذكر قراءة الحسن للفظة (ليقولَنَّ) بضم اللام (ليقولُنَّ)، "إعادةً للضمير إلى معنى مَنْ؛ لأنَّ قوله:(لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ) في معنى الجماعة، وقوله: (كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ) اعتراضُ بين الفعل الذي هو (ليقولَنَّ) وبين معقوله، وهو(يا لَيْتَنِي) والمعنى: كأن لم نتقدم له معكم مواده ؛ لأنَّ المنافقين كانوا يوادُّون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر، وإن كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن، والظاهر أنّه تهكم ؛ ولأنهم كانوا أعدى عدوَّ للمؤمنين واشدهم حسداً لهم، فكيف يوصفون بالمودة إلا على وجه العكس تهكماً بحالهم"[١] ، كما قرئ – الحسن – (فأفوزَ) بالضم عطفاً على كنت معهم؛ "لينتظم الكون معهم والفوز معنى اتمني، فيكونا متَّمنَيْنِ جميعاً"[٢]، فالزمخشري عندما يحاول ذكر قراءة من القراءات يضع لها بالمقابل التحليل اللغوي فيما ذهب إليه، فوجدناه خير مفسر بما يمتلكه من ركام ثقافي يحيطنا به. عن طريق قراءاته الدقيقة للسياقات القرآنية.

قالوا مع أنَّ السياق الصوتي له أثره البالغ على ثقافة الزمخشري في الإحاطة بألفاظ على مراحلها ابتداءً بالحروف وصولاً إلى الحركات، كما لا يقتصر الأمر في ذلك وعلى ذلك يجمعها المقطع وأهميته داخل النص بتراتبية لا تقتضي الانقطاع، بل الاستمرار وصولاً إلى النص كاملاً ؛ للإحاطة بتفسيره تفسيراً يتفق أو يتناسب مع ما أراده سبحانه، ولكي يتم السياق الصوتي

(١) الكشاف: ١/ ٤٦٣

(٢) نفسه : والصفحة نفسها

على أتم حالة يجب دراسة المقاطع الصوتية لآيات الجهاد أو العقيدة؛ لبيان أهميتها في اكمال المراحل الصوتية في خروج النص مناسباً كون أنَّ المقاطع مجموعات، بشكل كل مقطع من هذا المقاطع وحدة لها طابعها الخاص، كما يرتبط كل منها بالمقاطع الأخرى ارتباطاً غائياً ؛ ليشكلوا بذلك الصورة الكلية للنص.

ووفقاً لما تقدمنا به سندرس السياق الصوتي في آيات العقيدة أو الجهاد، وما ذهب إليه الزمخشري في كتابة (الكشاف)، كما في قولة سبحانه: "لْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا، مَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا"(١)، وقبل الشروع بتفسير السياق من حيث المقاطع الصوتية، فلا بدَّ من معرفة تفسير الآية الكريمة، والذي خص فيها "الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون، وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق، ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله، ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد، والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون العاجلة ويستبدلونها بها،...، وخلاص المستضعفين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصَّه، والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة، وكانوا يدعون الله بالخلاص"(٢).

فالآيتان الكريمتان تحمل في طياتها أسراراً خاصة بَمنْ يفدي الله سبحانه بنفسه، وتعظيم تلك المنزلة عنده سبحانه، كما أنَّ الآتيين حملت مقاطع صوتية مختلفة، لذا سنتناولها بالتحليل الصوتي للمقاطع بتقطيعهما صوتياً، وعلى النحو الآتي:

(١) سورة النساء، الآية رقم : ٧٤، ٧٥

(٢) الكشاف: ٤٦٤/١

فَأْ / لُ / قَأْ / تِلْ/ فِيْ / سَ / بِيْ

ص ح ح / ص ح / ص ح ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح / ص ح ح /

ل / أَلْ / ل / ل هُ / الـ / لّ / ذَيْ

ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح / ص ح ح /

نَ / يشـ / رُوْ / نَ / الـ / ح / يا/

ص ح / ص ح ص / ص ح ح / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ح

ة / بَا / و / بل / أا / خ / ر / ة /

ص ح / ص ح ح / ص ح / ص ح ص / ص ح ح / ص ح / ص ح ح / ص ح

و / مَنْ / ي / قا / يَلْ / في / سَ / بي/

ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ح / ص ح ص / ص ح / ص ح/ ص ح ح

الـ / لَّ / هـ / ف / يُقْ / تل / أوْ /

ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ح /

يَفْ/ لبْ / ف / سوْ / ف / نؤ / تي /

ص ح ص/ ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ح /ص ح ح /

هـ / أ جـ / رَا / عَ / ظيـ / و/

ص ح / ص ح ص/ ص ح ص / ص ح / ص ح ح / ص ح / ص ح ص /

مَاْ / لَ / كمْ / لاَ / تُ / فَاْ / ت / لُوْ

ص ح ص / ص ح / ص ح ح /ص ح ح / ص ح/ ص ح ح/ ص ح/ ص ح ص

نَ / في / سَ / بي / ل / ال / لَ / ل هـ

ص ح / ص ح ح / ص ح / ص ح ح / ص ح ح /ص ح ص /ص ح / ص ح ص

وَ / الـ / مُسْ / تَضـ / عَ / في / ن /

ص ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح /ص ح ح / ص ج /

مِنْ / الـ / رِر / جا / ل / وَ / الـ / نتـ

ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ ص ح ح /ص ح / ص ح /ص ح ص / ص ح ص

سَا / ء / وَ / الـ / ول / دا / ن / الـ

ص ح ص/ص ح/ ص ح/ ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح /ص ح / ص ح ص

لـ ذ / ي / ن / ي/ قو / لو / نَ / رَ

ص ح ص /ص ح / ص ح / ص ح / ص ح ح/ ص ح ح / ص ح/ ص ح

ب ب / نا / أخ / رج / نا / مِنْ/ هَ

ص ح ص / ص ح ح /ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح ح/ص ح ص/ص ح

ذَ / هـ / الـ / قر / ى / ة / الـ / ظ /

ص ح/ ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ ص ح/ ص ح/ص ح ص/ ص ح/

ظا / ل / م / أهـ / ل / ها / وَ / اج/

ص ح ح/ ص ح/ ص ح/ ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص

عل / لا / تا / من / لـ / دن / ك / وَ

ص ح ص/ ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص/ص ح/ ص ح

لي/ ياً / وَ / اج / عل / ل ل / نا /

ص ح ح/ ص ح ص/ص ح/ ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح ص/ص ح ح/

من / ال / دن / ك / ذ / صي / را /

ص ح ص/ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح/ ص ح ح/ ص ح ص

المقطع القصير = ص ح ثماني وخمسون مرة المقطع / المتوسط المفتوح= ص ح ح احدى وثلاثون مرة المقطع الطويل المفرد الإعلاق = ص ح ح ص غير موجود المقطع المديد = ص ح ص ص غير موجود كذلك.

فالملاحظ أنَّ المقاطع القصيرة قد حظيت داخل الآيتين الكريمتين على النسبة الأكبر عن غيرها من المقاطع والأنواع الأخرى، ما يعني أنَّ الخفة والرشاقة التي تتمتع بها هذه المقاطع، في إدراك المعاني المقصودة الآيات بسهولة وراحة، كون أنَّ الأحكام القرآنية الخاصة، بآيات الجهاد أو العقيدة الفرصة في إدراك ما يريده سبحانه وتعالى، فالمقاطع الصوتية الثلاثة

الأولى بحسب الإحصائية أعلاه، تمثل اللغة العربية في الغالب فنراها متكونه من النسيج الثلاثي لهذه المقاطع، سواء أكانت متصلة أو متفرقة في سياق الآيات، وهذا المقاطع مناسبة مع أحكام الخاصة في لجهاد وخصوصا المؤمنون الذين يحسون العاجلة، فهم يشترون بأنفسهم رضى الله سبحانه مع إخلاصهم لما يدعوهم إليه، فسهولة هذه المقاطعة، تبين ليونة قلوبهم بالإيمان وسهولتها دونما عناء.

المبحث الثاني

٢- السياق الصرفي:

سبق وأنْ تطرقنا إلى هذا النوع في دراسة السياق، فهذا النوع يتعدد داخل السياق، والأسباب يدل عليها هذا التنوع للتعبير عما هو مقصود داخل سياق الآيات القرآنية؛ لفهم العبارات والجمل مما يسهل علينا فك ثغرات النص وتأويله.

إنَّ الصيغ الصرفية بمجملها في سياق النص ترد على اثنى عشرة صيغة، منها الثلاثي: فهو على نوعين، الأول مجرد، والثاني مزيد، وقد استوفينا هذين المفهومين في آيات الخلق أو التكوين، ومن لهما من تأثير داخل السياق ، لذا سنتجاوزها إلى دراسة الدلالة السياقية للمشتقات في آيات الجهاد أو العقيدة، وعلى النحو الآتي:

١- اسم الفاعل:

اسم الفاعل هو "صيغة مشتقة من الفعل تدل بهيئتها على من وقع عليه الفعل"[(١)]، بين أنَّ هذا المشتق – اسم الفاعل – مختلف عن بقية المشتقات لما له دلالة فر الحدوث والتجدد، كما لا بدل على الثبوت، فالكلمة فيه "مشتقة للدلالة على من، وقع منه الفعل أو من قام به،

(١) محاضرات في علم الصرف، محمد ربيع الغامدي، حوارزم العلمية، جدة، ط٢، ٢٠٠٩م: ٧١

على سبيل التجدد والحدوث"[١]، كما له صيغتان قياسيتان، الأولى: اسم فاعل ؛ إذا كان الفعل ثلاثي، والثانية من الفعل غير الثلاثي، بإبدال حرف المصارعة ميماً مضمومة، وكسر ما قبل الآخر.

إذ إنَّ هذه الصيغتين قد وردتا في آيات الجهاد أو العقيدة، كما تطرق إليها الزمخشري في كتابة الكشاف، لما دلت عليه من معانٍ لها، طابع خاص داخل السياق، كما في قوله سبحانه: "وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا"[٢] ، فالآية تبين قوة الله في نصره للضعيف من القول، حتى أعزهم ممن ظلمهم، ثم يبين سبحانه الحث على الجهاد، بسبب افراط في الظلم الواقع على المستضعفين، وما يفسر ذلك هو ذكره سبحانه وتعالى للوالدين داخل سياق الآية العظيمة – في الجهاد– حيث بلغ ظلم المشركين الولدان غير المكلفين، ما جعل المستضعفين يشركون ابناءهم بالدعاء، كونهم صغاراً ولم يذنبوا، فالله يستجيب دعواهم. ويخلصهم من (القرية الظالم أهلها)، ربما سائل يسأل، لماذا سبحانه وتعالى ذكر الظالم ؟ مع العلم أنَّ الموصوفة مؤنث، فقد أجاب الزمخشري في الكشاف على هذا السياق الوارد في السياق القرآني، بقوله:"هو وصف للقرية إلا أنه سندُ إلى أهلها فأعطى إعراب القرية، لأنه صفتها وذكر، لإسناده إلى الأهل، كما يقول من هذه القرية، التي ظلم أهلها،...، رغب الله المؤمنين ترغيباً، وشجعهم تشجيعاً، بإخبارهم أنهم يقاتلون في سبيل الله، فهو وليهم وناصرهم، وأعداؤهم تقاتلون في سبيل الشيطان"[٣]، فاسم الفاعل داخل السياق يبين عن طريق المنسق أنَّ الظلم الذي حلَّ بالمستضعفين، ومن معهم، من القائمين على هذه القرية،

(١) الصرف الوافي، هادي نهر، عالم الكتب الحديث، عمان، ط١، ٢٠١٠م: ١١١

(٢) سورة النساء الآية رقم :٧٥

(٣) الكشاف : ج١/ ٤٦٤، ٤٦٥

وكل من ساندهم، فالمشتق ومعموله داخل السياق وضح أنَّ أهل القرية ظالمون بالمطلق ؛ ولا يمكن مجازاتهم إلا بالجهاد؛ للخلاص منهم.

٢- اسم المفعول:

إنَّ اسم المفعول "صيغة مشتقة من الفعل المبني للمجهول تدل بهيئتها على من وقع عليه الفعل"(١)، غير أنّه كاسم الفاعل يدل على الحدث والحدوث، ولا يختلفان "في الدلالة على الموصوف، فإنه في اسم الفاعل يدل على ذات الفاعل كقائم، وفي اسم المفعول يدل على ذات المفعول منصور"(٢)، ويصاغ من الفعل المبني للمجهول، أوله صيغتان قياسيتان، يتم القياس فيها من حيث عدد الحروف، فالأولى مفعول، وهذا مع الأفعال الماضية الثلاثية المبنية للمجهول، والثانية مع الأفعال غير الثلاثية، بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل آخر(٣).

وقد وردت هذه الصيغتان في آيات الجهاد أو العقيدة بكثرة، دلالة على ما وقع عليه الفعل، فضلا عن دلالات كثيرة نوردها من السياق الذي وردت فيه، كما في قوله تعالى: "وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ"(٤)، فقد ورد في سياق الآية الكريمة أعلاه مشتق، وهو اسم مفعول من الفعل غير الثلاثي، وإلا وهو (مستضعفين)، من الفعل السداسي (استضعف)، وله دلالة مهمة في سياق بعده الآية، فهو لم يرد هذا المشتق على سبيل التقدير، بل لبيان حال هؤلاء من الذين ليسوا بحال ولا قوة، فسبحانه يبين شدة

(١) محاضرات في علم الصرف : ٧٤

(٢) معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط٢، ٢٠٠٧م: ٥٢

(٣) ينظر: الصرف الوافي، هادي نهر، عالم الكتب الحديث، عمان ط١، ٢٠١٠م: ١٣٠ / لغة القران الكريم، بلقاسم بلصرح دراسة لسانية للمشتقات في الرابع الأول، دار العلوم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٥م: ١١٥

(٤) سورة البقرة، ٧٥

اضطهاد هؤلاء، فلم يكثف بذكر الفعل الثلاثي (ضعف)، بل زاد عليها ثلاث حروف أخر لبيان شدة الوقعة في استضعافهم واذلالهم، واسم المفعول في سياق الآية له وجهان "أنْ يكون مجروراً غطفاً على سبيل الله أي: في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين، ومنصوباً علي الاختصاص يعني اختص من سبيل الله خلاص المستضعفين ؛ لأنَّ سبيل الله عام في كل خير، وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه"(١)، فالمشتق في سياق الآية لم يرد اعتباطاً على الدلالة خاصة، خص بها سبحانه من عباده المستضعفين، كما وعد المقاتلين اجراً عظيماً / سواء اكانوا ظافرين أم مظفرين، إعزازاً لدين الله القيم، وحكمةُ الهام في حفظ العقيدة والجهاد في سبيله.

(١) الكشاف :ج١/ ٤٦٤

المبحث الثالث

٣- السياق التركيبي:

سبق أنْ تحدثنا عن هذا النوع داخل تسمية الخطاب، وبفضل هذا السياق أدركنا أهمية في تحديد المعنى المراد وما يعنيه التركيب الآيات الجهاد أو العقيدة، وقد تحدث عنه الكثير عنه الكثير من النحويين والبلاغيين في بيان أهميته، وما تؤديه التراكيب السياقية في توخيها لمعاني النحو في طريقة تراتبية منهجية خصها سبحانه في جميع، ليس فقط على آيات الجهاد أو العقيدة، ولكن كون أننا ملزمون في دراسة هذه الآيات ستقتصر دراستنا في السياق التركيبي على هذه الآيات بالشرح والتحليل لدلالاتها، وفقاً لما لمقتضيات السياق التركيبي في دراستنا، وسنتناول أدواته، على النحو الآتي:

١- الزيادة: نتحدث في الفصل الثاني مباشرة عن أحد أدوات السياق التركيبي، كون أنّنا قد نتناول الأدوات الأخرى في الفصل الأول، وهي: (التقديم والتأخير، والحذف) وقد استوفينهما بالأدلة والشواهد القرآنية التي تخصهما، لذا سنتناول الزيادة في هذا الفصل مع السياق التركيبي، فالحذف "أنْ يزاد حرف في الكلام لضرب من التأكيد يكون فيه دخوله أو خروجه، من غير تغيير في اصل المعنى، فلا يتهور زيادة لغير معنى، فيكون وجودة في الكلام عبثاً، إذا لا يتجاوز ذلك، وقد جاء منه في القرآن الكريم وهو منزه عن مثل ذلك كما كثر مجيئه في كلام الفصحاء والشعراء العرب"(١).

وقد اختلف الكثير من النحويين في قضية الزيادة داخل النص القرآني، حيث اعتقد اكثرهم وقوعه لفظاً، كون أنَّ الأصل في المعنى حاصل دونه، وبه تحققت فائدة التوكيد، وبهذا

(١) ينظر: الخصائص، لأبن جني، تح: محمد علي النجار أ دار الكتاب العربي، د. ت، ج٢: ٢٥٨ / شرح المفصل، لأبن يعيش، عالم الكتب، بيروت، (د, ت) ج٨ : ١٢٨.

الخصوص ذكر ابن السراج "أعلم أنَّ الإلغاء إنما هو أن تأتي الكلمة لا موضع لها من الإعراب إن كانت مما تعرب وأنَّها متى أسقطت من الكلام لم يختل الكلام، وإنما يأتي ما يلغي من الكلام تأكيداً أو تبييناً"(١)، وبهذا القول يتبين أنَّ الزيادة في آيات القرآن لا تكون إلا مراعاة لقضية الإعراب يحسب أكثر النحويين والمفسرين، غير أن الزمخشري لا يذهب هذا المذهب، بل ينظر إلى جميع حروف القرآن غاية قد أدركها في تفسيره للنصوص، ثم إنَّه يرى تأثيرها على النص من حيث التفسير لا يقتصر على ما بعدها، بل يهتم بالوحدة لتفسير النص القرآني، علم يتبع الطرف التراتبية في تناوله للنص، عما أنَّه يلجأ بربط هذه الزيارة ما قبل وبعد الفواصل القرآنية، ومثال ذلك في قوله سبحانه: "ومنهم من يقول ائذن لي ولا تغتني إلا في الفتنة سقطوا وإنَّ جهنم لمحيطةُ بالكافرين"(٢)، فاللام في (لمحيطة) في الآية الكريمة، لم تكن في فهم الزمخشري وتأويلة للنص على سبيل التأكيد، بل كانت ترجمة للنص فأكمله، لذا نراه يربط في كشافه بداية الآية ونهايتها لهذه اللام، إذ يقول: (ائْذَنْ لِي) في القعود (ولا تفتني) ولا توقعني في الفتنة، وهي الإثم بألا تأذن لي، فإني فإذا خرجت معك هلك مالي وعيالي،...، وقرئ: ولا تفتني من افتن (ألا في الفتنه سقطوا) أي: إنّ الفتنة هي التي سقطوا فيها، وهي فتنه التخلف؛ لأن (من) موحد اللفظ مجموع المعنى (لمحيطة بالكافرين) يعني أنها تحيط بهم يوم القيامة، أو هي محيطة بهم الأن ؛ لأن اسباب الإحاطة معهم، فكأنهم في وسطها"(٣)، بالزيارة فسر الزمخشري المحذوف، وبهذا فإنَّه لم يتوقف عند حدود النحويين من الذين ذهبوا إلى التأكيد وحرص الزيادة في ذلك، ونحن بدورنا لا تنفي هذا، ولكننا نجد أنَّ الزمخشري بحث في تلك الزيادة عما تقدم به القدامى من المفسرين والنحويين فهو يرى في كل زيادة شأناً ليس بالخفي عما تفقه ودرس كل العلوم التي تخص جانب التفسير، كما في قوله تعالى: "ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون"

(١) الاصول في النحو، لأبن السراج، تح : د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م: ج٢/٢٦٧

(٢) سورة التوبة الآية رقم: ٤٩

(٣) الكشاف : ج٢/٣٠٥

سورة آل عمران: ١٥٨، فوقوع اسم الله تعالى في هذا الموقع، وإدخال لا التوكيد على حرف الجر (إلى) لم يكن اعتباطاً، بل تقديراً من عزيز عليهم، فيذهب أنّ هذه اللام الزائدة تختزل كلاماً عظيماً يقدره بقوله: "لإلي الرحيم الواسع، المثيب العظيم الثواب تحشرون"[١] .

الخاتمة

فقد كانت الدراسة التطبيقية هي روح البحث وثمرته، وتبين من خلالها قواعد العلم النظرية التي هي اساس في فهم كلام الله سبحانه، كما أنني لا ادعي كمال البحث وخلوه من الخطأ أو النقصان، وحال الأمر أن الخاتمة تكون إجابة لسؤال قد يوجه بعد إتمام البحث وهو ما الذي اخلصت إليه هذه الاطروحة؟ والجواب: هو أن الباحث قد حدد مجموعة من النتائج التي يراها ثمرة بحثه، ويمكن ترتيبها على النحو الآتي؟

١- أثبتت الدراسة أهمية الاستناد إلى دلالة السياق في تحليل آيات الخلق أو التكوين وآيات الجهاد أو العقيدة وآيات الإحكام وتوجيه معانيها
٢- أثبتت الدراسة أن الدلالة السياقية المرتكز الرئيس في إنتاج الدلالة على مختلف السياقات واساليب الكلام التعبيرية
٣- اثبتت الدراسة ضرورة مراعات السياق في تأويل النصوص القرآنية عامة، والآيات التي هي محض الدراسة بصورة خاصة، وإن ترك الدلالة واهمالها يجعلنا مواقعين الأخطاء لا محالة، ما يعني الاعتناء به يجنبنا ذلك
٤- اظهرت الدراسة أن السياقات اللغوية وغير اللغوية في تأويل النصوص الخاصة بالدراسة في كتاب الكشاف ينتج عنها دلالات متعددة يعمل السياق بشكل كبير على توجيهها.
٥- الترابط والتماسك النصوصي في الآيات التي ضمن دراستها يفرض علينا البحث في العلاقة بين النصوص والسياق المحيط بها من جهة، والعلاقات بين الجمل في تراتبية نصيه تشمل العلاقات الداخلية وصولاً إلى العلاقات الخارجية ا كسياق الحال أو سياق الموقف....الخ
٦- أظهر الزمخشري في كشافه أنّ تبين المجمل وتقييد المطلق، وتخصيص العام يتحقق من خلال الدلالة السياقية في الآيات الخاصة بالدراسة، ومن خلال ذلك حدد الزمخشري المعاني التي خرجت إليها هذه النصوص وافاد منها في تأويل الآيات.

(١) الكشاف: ج١/٣٧٩.

٧- كما أكدت الدراسة على ضرورة تظافر السياق الدلالي في تفسير آيات القرآن الكريم مع التفاسير الأخرى وملابسات نزولها في توجيه الدلالات القرآنية، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري في مختلف السياقات، ما يجعلنا نعتقد هو من أسس علم السياق ذهنياً وتطبيقياً، ولكن نظر إليه المحدثين، واخص بذلك العالم الغربي (فيرت).

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

_الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

_محاضرات في علم الصرف، محمد ربيع الغامدي، حوارزم العلمية، جدة، ط٢، ٢٠٠٩م.

_الصرف الوافي، هادي نهر، عالم الكتب الحديث، عمان، ط١، ٢٠١٠م.

_معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط٢، ٢٠٠٧م.

_لغة القران الكريم، بلقاسم بالصرح دراسة لسانية للمشتقات في الرابع الأول، دار العلوم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٥م.

_الخصائص، لأبن جني، تح: محمد علي النجار أ دار الكتاب العربي، د. ت، ج٢: ٢٥٨ / شرح المفصل، لأبن يعيش، عالم الكتب، بيروت، (د, ت).

_الاصول في النحو، لأبن السراج، تح : د. عبد الحسين الفتلى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

References

Holy Quran

1. . Revealing the Facts of the Mysteries of the Revelation and the Eyes of Gossip in the Faces of Interpretation, Mahmoud bin Omar bin Ahmed Al-Zamakhshari, Dar Al-Rayyan for Heritage in Cairo - Dar Al-Kitab Al-Arabi in Beirut, Third Edition 1407 AH - 1987 AD.
2. . Lectures in Morphology, Muhammad Rabie Al-Ghamdi, Hawarazem Scientific, Jeddah, 2nd Edition, 2009.
3. . Al-Sarif Al-Wafi, Hadi Nahr, The Modern World of Books, Amman, 1st Edition, 2010.
4. . The Meanings of Buildings in Arabic, Fadel Saleh Al-Samarrai, Dar Ammar for Publishing and Distribution, Amman, 2nd Edition, 2007.

5. . The Language of the Holy Qur'an, Belkacem Beledh, a linguistic study of derivatives in the first fourth, Dar Al-Uloom Publishing, Algeria, 2005.
6. . Characteristics, by Ibn Jinni, ed: Muhammad Ali Al-Najjar a Dar Al-Kitab Al-Arabi, dt, vol. 2: 258 / Sharh al-Mufassal, by Ibn Yaish, Alam al-Kutub, Beirut, (d, t).
7. . Fundamentals in Grammar, by Ibn Al-Sarraj, Tah: Dr. Abdul Hussein Al-Fatli, Al-Resala Foundation, Beirut, 2nd Edition, 1987 AD.